ذيل

كتاب تجارب الأمم

للوزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب

﴿ ظهير الدين الروذراوري من سنة ٣٦٩ الى ٣٨٩ ﴾

﴿ وتليه قطعة من تاريخ هلال الصابي الكاتب الى سنة ٣٩٣ ﴾

مع نخب من تواريخ شتى تتعلق بالامور المذكورة فيه

وقد اعتنى بنسخه والتصحيح هف آمدروز

الجزء الثالث

﴿ يحتوي على حوادث (٢٥) سنة من ٣٦٩ الى ٣٩٣ هجرية ﴾

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

﴿ ترجمة المؤلف عن تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي ﴾

قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٤٨٨ : محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير الدين أبو شجاع الروذراورى وزر للمقتدى بالله بعد عزل عميد الدولة منصور بن جهير سنة ٧٦ وصرف سنة ٨٤ وأعيد ابن جهير ولما عزل قال

تولاها وليس له عدو وفارقها وليس له صديق

ثم انه حج وجاور بالمدينة الى ان مات بها كهلا وكان دينا عالما من محاسن الوزراء قال العماد الكاتب : لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين والشرع مثله وكان عصره أحسن العصور رحمه الله . وقال صاحب المرآة : ولما ولى وزارة المقتدى كان سليما من الطمع في المال لانه كان يملك حينئذ ستمائة ألف دينار فانفقها في الخيرات والصدقات قال أبو جعفر الخرقي : كنت أنا واحداً من عشرة تتولى اخراج صدقاته فحسبت ما خرج على يدى فكان مائة الف دينار وكان يبيع الخطوط الحسنة ويتصدق بها ويقول : أنا أحب الاشياء الىّ الدينار والخط الحسن فانا أتصدق بمحبوبى لله . وجاءته قصة بان امرأة وأربعة أيتام عرايا فبعث من يكسوهم وقال : والله لا ألبس ثيابي حتى ترجع . وتعرى فعاد الغلام وهو يرعد من البرد . وكان قد ترك الاحتجاب ويكلم المرأة والصبي ويحضر مجالسة الفقهاء والعوام لا يمنع أحدا . وأسقطت المكوس فى أيامه وألبس الذمة الفيار ومحاسنه كثيرة وصدقاته غزيرة وتواضعه أمر عجيب فرحمه الله تعالى

ووردت ترجمة أبى شجاع الروذراورى فى وفيات الاعيان لابن خلكان ٢ : ٩١ وفيها انه عمل ذيلا على كتاب تجارب الامم

مقدمة المؤلف

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم [٢] ﴾

(وبه ثقتي)

أما بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه أهل الحمد والثناء . المفرد بالوحدانية والبقاء الذى لا يحيط به مكان . ولا يغيره زمان . لا اله الا هو مبدع المكان وموجده . ومحدث الزمان ومنفده . خالق الخلق أطواراً . وجاعل الظلمة والضياء ليلا ونهاراً . كتب على الخلائق تقلب الاحوال لانه لا يحول . وقضي على الازمنة حكم الزوال لانه

لا يزول . والصلاة على رسوله محمد الذى بعثه بالرسالة . وهدى به من الضلالة . وأنقذ بمعرفته من الجهالة . ودل على نبوته بافضل الدلالة . واختاره من أشرف البلاد وطنا وداراً . واصطفاه من أكرم العباد حسبا ونجارا . حيث المشعر الحرام والمشر الكرام . وجعله آخر الانبياء بعثا في الدنيا الى العباد . وأولهم بعثا الى المعاد . وجعلنا من أمته الذين جعلهم أمة وسطا . وأبان لهم من الاسلام منهجا جددا . ووفقهم فى الدين فتحروا رشدا . فقولهم سديد . وفعلهم رشيد . وهم شهداء على الناس والرسول عليهم شهيد . وعلى آله الذين سبقوا الى مصاحبته وسعدوا بمرافقته .(٣) وشرفوا بمتابعته في هجرته . وكرموا بايوائه ونصرته . فهم معالم الهدي . ومصابيح الدجا . كدراري النجوم تهدي السارى بنورها . وتهمي الغاوي من فتنة الدنيا وغرورها .

والدعاء لخليفته الامام المقتدى بامر الله أمير المؤمنين صاحب العصر المؤيد بالنصر المختار من شجرة طيبة الشرف والعلاء . أصلها ثابت وفرعها فى السماء . شربت من ماء النبوة الطاهرة عيدانها . وتفرعت بالخلافة الظاهرة أفنانها . كما قال جده العباس لبعض أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين : كان رسول الله دوحة نحن أغصانها . وأنتم جيرانها . وهو المنصب العظيم . من المحتد الصميم . والبيت الكريم . الذى أول درجاته النبوة والكرامة . وثانيهما الخلافة والامامة . ولاثالث لهما بعد ذلك الى القيامة . توارثها امام عن امام . وقام بها أمير المؤمنين المقتدى بامر الله خير قيام .

ان الذى رفع السماء بنى لهم بيتا دعائمه أعز وأطول(١)

شد الله عضده بذخر الدين . وولى عهده فى المسلمين . وباخوته الغر الميامين . وجعلها كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين .(٤) وأيد دولته بجلالها الذاب عن حماها . المناضل عن علاها . جمال الملة مغيث الامة معز الدنيا والدين يمين أمير المؤمنين الملك العادل المحبب الى القلوب . والركن الشديد المعد لدفع الخطوب . ودبر ملكه بنظامه المبارك . فى أيامه . قوام الدين رضي أمير المؤمنين الوزير الظهير . الموفق بحسن التدبير .

وبعد أداء الفروض المقدمة الواجبة . والسنن المؤكدة الراتبة . وقضاء حقوقها المستثبتة الازلية وسلوك طرقها المستقيمة اللاحبة . فان أولى ماصنفه المفيد . وعني بقراءته المستفيد . جمع أخبار الامم الخالية . وحفظ تواريخ الازمان الماضية . لانها أوفي المصنفات فائدة وأكثرها عائدة . وأحسنها أثرا . وأطيبها ثمرا . اذ كان أنفع العلوم ما أدت مقاصده الى

(١) بيت الفرزدق ولراجع كتاب الاغانى ٧ : ٥٦

التوحيد . ووقفت موارده على تثبيت قدرة الخالق في نفوس العبيد . وفى تدبر اختلاف الليل والنهار . وتأمل مجارى الاقدار وتقلب الادوار . في توالى الامم وتعاقبها . وتداول الدول وتناوبها . قال الله تعالى : وتلك الايام نداولها بين الناس . اكبر دليل على وحدانية من ينبتهم ثم يحصدهم (٥) ويشقيهم ويسعدهم . وينشئهم ويبيدهم . ويعيدهم . ويحييهم ويميتهم وهو على جمعهم اذا يشاء قدير . تبارك اسمه وجل ثناؤه . وعظمت قدرته وكثرت آلاؤه . مرجع الخلق والامر اليه وبيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه له الحمد كله وبتوفيقه يتضح في الرشاد سبله فلا عبادة اذاً أرقى من التوحيد فوقعه من العبادات موقع الرأس من الجسد به اعتداله وبقاؤه . ومحله من الاعتقادات محل الروح من الجسم بها حياته ونماؤه . ولولم يكن علم القصص عظيما لما من الله تعالى به على نبيه عليه السلام فقال : نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال سبحانه طسم تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون وقال تعالى : كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً) ولو لم يكن في ذلك الا ما ينتفع به المعتبر من قلة الثقة بالدنيا الفانية . وكثرة الرغبة فى الآخرة الباقية . لكفى ما تنتجه هذه البصيرة من جميل الافعال . وتحث عليه هذه النتيجة من صالح (٦) الاعمال . فكيف وأولى مايعتمده أولو الامر وأصحاب الزمان . ومن بايديهم مقاليد الملك والسلطان . وأوجب ما يتشاغل به من اليهم أزمة الامور . وعليهم سياسة الجمهور . ادمان النظر في كتب التاريخ واحسان التتبع للاخبار . والآثار والتفكر في حال من مضي من الاخيار والاشرار . ليعلموا مابقى للمحسن من الصيت الحميد الذى صار له حياة مخلدة وبالاجر (١) الذى اكتسبه . وللمسيء من الذكر القبيح الذى جعل صحيفته مسودة بالوزر الذى احتقبه . ويتصفحوا حال الحازم فى حزمه وعقله . والمضيع فى تفريطه وجهله . فيسلكوا من الطرائق أوضحها وأمثلها . ويتقبلوا من الخلائق أشرفها وأفضلها . ويردوا من المشارب أصفاها وأعذبها . ويرعوا من المراتع امرأها وأخصبها . ويأخذوا من الامور بأحزمها . ومن التجارب بأحكمها . فمهما يكن من حسنة اقتبسوا منها . ومهما يكن من سيئة ارتدعوا عنها . فالسعيد من انتفع بالادب فيما دأب غيره فيه من التجارب . والرابح من حظى بالراحة فيما تعب به سواه من المطالب . لان العقل غريزة في الانسان . والتجارب مكتسبة في الزمان . والرأى (٧) لقاح العقل والتجربة نتاجه . والخير مقصد الحجي والاجتهاد منهاجه . ومن أن للانسان

(١) لعله ومن الاجر

من العمر الطويل . ما يحصل فيه على تجربة الدقيق والجليل . وقيل : العمر قصير والعلم كثير [١] فخذوا من كل شيء أحسنه

فاذا تأمل المرء سيرة الماضين من الاقوام . جنى مع تقارب الشهور والايام . ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والاعوام . وعلم علل الاحوال وفوائدها . وحيل الرجال ومكايدها . وعرف مبادىء الامور ومصائرها . وقاس عليها أشباهها ونظائرها . وعمل بأنفع ما حبي به من الفهم والعلم . وانتفع بأصوب ما عمل به في الحرب والسلم . وأقدم على المواطن التي يرتجى فى أمثالها الظفر . وأحجم عن الاماكن التى يتوقي فى أشكالها الحذر . وتسلى بمن تدرع الجلد عند حدوث النوائب . وتأسى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب . وذكر مصير العاقبة اذ ارخت يد الغفلة عنان أشره . ونظر بالبصيرة الثاقبة اذ غطى غرور الدنيا على بصره .

فهذان القسمان يجمعان الدين والدنيا . ويبلغان بصاحبهما الدرجة العليا . فاما مافي ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة . وأنس المحادثة والمسامرة . فقد [٨] خففت القول فيه لانه يصغر في جنب ماقدمت ذكره من القسمين العظيمين . والامرين الجسيمين . كما قال النبي صلعم : كل الصيد فى جوف الفراء [٢]

وانني تأملت كتاب تجارب الامم . وعواقب الهمم .الذى صنفه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه) فوجدت فوائده غزيره . ومنافعه كثيرة . وعلمه جما . وبحره خضما . فراقني تأليفه . وأعجبني تصنيفه . فرحم الله مصنفه وأجزل فى الآخرة أجره . كما طيب في الدنيا ذكره . فلقد اختار فاحسن الاختيار . ومخض فأتي بزبد الاخبار . وسلك سبيلا وسطا بين التطويل والاختصار . ثم لم يقنع بذلك حتى قرب مسالك الطرق البعيدة . وبرز من أثناء الاختيار ذكر الاراء السديدة . ونبه فيها على مقامات حميدة . وبين ما جرى في كل وقت من خدعة ومكيدة . لئلا يبعد من يد المتناول قطف الثمرة اليانعة . ولا يطول على فكر المتأمل وجود الزبدة النافعة . وأحر به ذلك فان فضله وان لم يدرك زمانه باقي النفع بادى الاثر . والروض ينبيء عن فضيلة الغيث وان ولى أوان المطر . فدعاني وقوف همتي عليه الى اقتفاء أثره . [٩] وسلوك ما سنه فى ورده وصدره . وصلا لسلك الذى بنا [٣] بنظامه . ونيابة عنه في تشييد ما بناه بعد انقضاء أيامه . وسنة لمن بعدنا يستمر الآتي منها على سيرة الغابر . ويتصل بجميل الاول فيها حبل الآخر . لا تعاطيا منا للمساجلة . ولا تماديا في المماثلة . لا مجاراة في المضمار . ولا

(١) هذا الرأى منسوب الى بقراط اليوناني (٢) ليراجع كتاب الميداني (٣) لعله بدا

مساواة فى الاختيار . ولا ماقاله زهير [١]

هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا

فهيهات كيف الطمع في اللحاق . وقد شأي المتقدم فى السباق . لا سيما وطرف الفصاحة تحتى كاب . وحد البلاغة في يدى ناب . فأين المصلى . من المجلى . وأين الكهام . من الحسام . وأين السنيح من المعلى . وأين العاطل من المحلى . أريها السها وتريني القمر ولكني أقول ما قاله في البيت الثانى

أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا

هذا لعمري أقرب الى الصواب . وألبق بهذا الباب . فأحسنت القياس وسلمت قصبة السباق وأعطيت القوس باريها . وأشدت الضالة باغيها . [١٠]

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة اذاً لشفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها فكان الفضل للمتقدم [٢]

ثم ان للتصنيف رجالا عنوا بامره وعاموا في بحره . وأنسوا بجمع شارده . وتفردوا بنظم فرائده . وصاروا بصدده . واستولوا على أمده . فهم لقسيه براة . والى غرضه رماة . وفي طرقه هداة . وقد ربيت في غير هذا الوكر . وسقيت من غير هذا الدر . وتحليت بغير هذه الصناعة فان قصرت عن بلوغ معانيه . فاحذوا العذر فى العجز وان وقع سهمى دون مراميه . فاعذر فالنزع [٣] في القوس لين فلمن سبقنا فضيلة الجمع والاستكثار . ولنا من بعدهم وسيلة الاختيار والاختصار . وكل مجتهد مصيب . وله من حسن الذكر نصيب

فسلمت الى من تقدمنا الفضل في زمانهم لمحاسن تلك العلوم المشهورة . ولو انهم أدركوا زماننا لسلموا الفضل الينا بمحاسن هذه الدولة المنصورة . دولة الامام المقتدي بامر الله أمير المؤمنين ذي الكرم والفخار . والحلم والوقار . والاخلاق الطاهرة . والافعال الباهرة . والكرامات العجيبة فى المنشأ والمولد . والدلالات الصحيحة في المغيب والمشهد . به أنقذ الله الرجاء من أسر اليأس [١١] وألقي عليه محبة قلوب من الناس . بعد ان فجعوا بذخيرة الدين (وليس للقائم رضوان الله عليهما عقيب سواه . ولا للبيت أحد يصلح للعهد فيولاه) فتقطعت النفوس حسرات . ورجعت الانفاس زفرات . وبكت الملة واستولت الوحشة والغمة فأتى الحمل الميمون به اتمام . وبدا وجهه المنير فجلا كل ظلام . وسارت « البشري » بذكره في سائر الآفاق . وزهت أعواد

(١) ليراجع قصيدته التى أولها بان الخليط أجد البين فانفرقا (٢) البيتان لعدى بن الرقاع (٣) لعله فاعذروا لنزع

المنابر باسمه حتى كادت تعود الايراق . ثم كلاه في الفتنة الحادثة أحسن كلاءة بين أعاديه . وألحفه جناحا من الحياطة ستره بين قوادمه وخوافيه . فكانت قصته كقصة موسى عليه السلام حين القي صغيرا في اليم . ونجا كبيرا من الغم . وأعاد القائم بأمر الله رضوان الله عليه الي مقر سلطانه . وفسح في مدته وبارك في زمانه . لاتمام عهده . وانجاز وعده حتى يسلم الامر منه على حين السن المستحقة لتسلم أسبابه . وتقمص جلبابه . فكان ذخيرة الدين خلفا لنجله . وكان القائم بامر الله عاد في تلك النوبة لاجله . فاستحق بنفسه وارثه شرف الخلافة العظيمة . وحوى في شرخ الشبيبة جميع محاسن الاخلاق الكريمة وارتقي من المجد ما لاتبلغ الاوهام ذروته . (١٢) واجتني من الحلم ما لا تحمل الايام حبوته . وساس الامور بهمة علية . وسيرة رضية . وخلافة جاءت كالنصر من السماء . ولم يكن مثل ذلك لامثاله من الخلفاء وكأنما عناه أبو العتاهية بقوله

أتته الخلافة منقادة اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الارض زلزالها

فما خلا متقلد للخلافة في عصر ممن ينازع في ردائها ويجاذب على عنانها . ويترشح لحلها ويتطاول لمكانها . الى أن يستقر الرأي في قراره . ويجتمع الامر من أقطاره . الا امام عصرنا المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين فانه تفرد في عصره بهذا الاستحقاق . واجتمعت الكلمة عليه لوقتها بالاصطلاح والاتفاق . فلم يخطر منازعته بخلد ولابال. ولو كان الزمان ذا لسان لقال «هذا صاحبي بلا مراء ولاجدال» لاجرم أن سعادته مخصوصة بأوفى كمال . محروسة باذن الله تعالى عن نقصان وزوال . ودولته محوطة بأكرم ظهير وموال .

وأنى يكون للدول الاولى مثل جلال الدولة بن عضد الدولة الهمام ابن الهمام الملك (١٣) عضد الدولة المعظم من الاخوال والاعمام . الحامي حوزة الاسلام . المابي لدعوة الامام . الذى كرم طرفاه . وعظم شرفاه . ودانت لصولته الامم . وانكشفت بدولته الظلم . وجرت بنصرته الاقدار . وانفتحت على يديه الفتوح الكبار . أطول الملوك باعاً . وأحسنهم في الدين ذبا ودفاعاً . فهو تاج على جبين الايام الزاهرة المقتدية يزيد في أنوارها . وركن الدولة القاهرة العباسية يدفع عن أقطارها . زاد على أنوشروان بفضله وبعدلته . وأوفى على بهرام بيأسه ونجدته . وفضل أردشير بتدبيره وسياسته . وساوى الاسكندر بملكه وبسطته . فالشرق والمغرب مذعنان لطاعته . والبدو والحاضر

منقادان لتباعته . كل ذلك ببركات مخالصته لامامه . وحسن نيته في محبة أيامه .

وأين كان لتدبير الاقاليم وزم أمورها . وحفظ المماليك وصد ثغورها . مثل نظام الملك قوام الدين الذى أعد للخطوب أقرانها . حين عجم بالتجربة عيدانها . وجمع رياسة السيف والقلم . لما كفل بسياسة الغرب والعجم . بنقيبة في الدولة ميمونة . وضريبة في النصيحة مأمونة . وحزم لا يشان بهفوة . وعزم لا يخان بنبوة . وخلق لا تجد فيه عنفا . ورأى لا (١٤) ترى فيه ضعفا . وهيبة مع طلعة بشر . وتواضع مع رفعة قدر . فاذا قيل له اتق الله سمع وأطاع . واذا خوف بالله خاف وارتاع . فافعاله أفعال العباد . وأخلاقه أخلاق الزهاد . مع انقياد الدنيا له في الاصدار والايراد . ونفاذ أمره على الرعايا والاجناد . وجمعه فى منهل العدل بين الظباء والآساد .

فاى دولة تباهي هذه الدولة القاهرة في مناقبها وماثرها . وأي أيام تضاهى هذه الايام الزاهرة في محاسنها ومفاخرها . وأى قول ينتهي الى حد وصفها وان امتد وطال . وأي بليغ يبلغ أمد فضلها وان أسهب وقال .

فأعود الان الي ذكر ما أنا قاصده من الاختيار . متبرئاً من عهدة ما أورده من الاخبار . لاني أتبع في كتاب التاريخ مسطورها . فاختار بحسب المعرفة عقودها ومبسورها . وما عساه يندر من خبر شاذ تقف من أفواه الرجال . وخلا التاريخ من ذكره اما بخفاء أو نسيان أو اغفال . فانه يثبت في بواطنه . وينظم مع قرائنه . واذا انتهيت انشاء الله سبحانه الى أخبار زماننا اتسع المجال . وأمكن المقال . وعمدت حينئذ الى ما شاهدناه وخبرناه فاخبرت به على وجهه وذكرته مجتهدا في التحرى وبحسب الامكان الذى لا أقدر على سواه . (١٥) وبقدر الوسع الذي لا يكلف الله نفسا الا اياه .

وأول ما ابدأ به الان فى كتابي هو آخر ما ختم أبو على مسكويه رحمه الله به كتابه في سنة ٣٦٩ والله تعالى ولى حسن التوفيق . والهادي فى جميع المقاصد الى سواء الطريق . وبه أعوذ من الخطل . واعتصم من الزلل . واياه أسئل خاتمة جميلة . بالمغفرة كفيلة .

انه غفور رحيم

﴿ انتهت المقدمة ﴾

﴿ ذكر ما جرى عليه أمر عضد الدولة عند توجهه الى الجبل ﴾

رحل بالعسكر من المصلى في يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجة وقد استصحب أبا عبد الله الحسين بن سعدان ينفذ الامور بين يدى عضد الدولة واليه عرض العسكر . فلما حصل بين حلوان وقرميسين عاده المرض الذى كان عرض له من قبل وحجب الناس عنه حجابا وقع به الارجاف والاضطراب ثم أفاق وظهر وركب الي قرميسين . ووافاه بنو حسنويه وقد كانوا راسلوا وبذلوا الطاعة بوساطة أبي نصر خواشاذه الا أنه لم يقدر أنهم يأنسون الى الحضور بأجمعهم (١٦)

﴿ ذكر القبض على بعض أولاد حسنويه واصطناع بعضهم ﴾

حضروا المعسكر فاقعدو في خركاه من وراء السرادق ووكل بهم خواص الديلم وغلمان الخيول ورتب الاعراب والاكراد والرجالة (و) الفرس من حوالى المعسكر وبظاهر البلد لئلا يفلت منهم أحد أو من أصحابهم وقبض منهم على عبد الرازق وأبى العلاء وأبي عدنان ومختيار وعلى كتابهم وأسبابهم ووجوه الاكراد الذين معهم . واستدعى بدر عاصم وعبد الملك ووصلوا الى حضرة عضد الدولة وخاطبهم بما رآه من واصطناعهم وحملوا الى الخزانة فخلع على بدر القباء والسيف والمنطقة الذهب وحمل على فرس بمركب ذهب وقلد زعامة الاكراد البرزيكاني ومن يجرى مجراهم وخلع على كل واحد من عاصم وعبد الملك الدراعة الديباج والسيف بالحمائل وحملا على دابتين بمركبين مذهبين ووضع على كل من كان مع المقبوض عليهم من الاكراد السيف ونهبت حللهم بما فيها . ونفذ أبو الوفاء

طاهر بن محمد الى قلعة سرماج فافتتحها [١٧] وأخذ ما كان فيها من ذخائر حسنويه . [١]

﴿ ودخلت سنة سبعين وثلثمائة ﴾

وسار عضد الدولة الى نهاوند وأقام بها ورتب العمال في النواحي وجدّ في تناول الموجود لانه كان من رأيه أن يجعل همذان ونهاوند لمؤيد الدولة ويستضيف الدينور وقرميسين وما يجرى مجراهما الى أعمال العراق . ثم انتقل فى صفر من نهاوند الى همذان ونزل دار فخر الدولة بها .

﴿ ذكر ورود الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد [٢] ﴾

في هذا الشهر ورد الصاحب ابن عباد الخدمة عن مؤيد الدولة وعن نفسه فتلقاه عضد الدولة على بعد من البلد وبالغ في اكرامه ورسم لاكابر كتابه وأصحابه تعظيمه ففعلوا ذلك حتى انهم كانوا يغشونه مدة مقامه مواصلة ولم يركب هو الي أحد منهم وكان غرض عضد الدولة بذلك استمالة

---

(١) قال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان : وفي صفر سنه ٣٧٢ قبض عضد الدولة على أبي الوفاء وحمل الى قلعة الماهكي ثم قتل بعد وفاة عضد الدولة . وقال أبو الفرج ابن الجوزى في كتابه عجائب البدائع (كتبخانة باريس ١٥٦٧) ومن عجائب الاتفاقات العجيبة في المقادير وهو ماذكره هلال بن المحسن بن أبي اسحاق الصابي في تاريخه ان أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان انه لما وزر لصمصام الدولة كان أبوالوفاء طاهر بن محمد معتقلا في بعض القلاع وكان أبو عبد الله ابن سعدان يعاديه فانفذ حاجبا لقتله وحمل رأسه فلما قتله أحضر رأسه اليه فشاهده وأمر بدفنه تحت درجة داره بما يلى دجلة . ثم قتل أبو عبد الله ابن سعدان بعد ذلك ورمي رأسه وجثته الي دجلة ولم يزل الماء يقذو برأسه وجثته حتى انتهى به الى مشرعة دار أبي الوفاء طاهر بن محمد فأخذه الملاحون ودفنوه تحت درجة أبي الوفاء والجزاء من جنس العمل .

(٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٢ : ٢٧٣

مؤيد الدولة وتأنيس [١٨] الصاحب .

ووردت كتب مؤيد الدولة يستطيل مقام الصاحب ويذكر اضطراب أموره ببعده فوقع الشروع في تقرير ارتفاع همذان ونهاوند معهما عليه وتولى أبو عبد الله محمد بن الهيثم عمل العمل بالارتفاع .

﴿ ذكر عمل رتب في تكثير اعتداد بارتفاع ﴾

صدر العمل بأن قال : مبلغ ارتفاع النواحي الفلانية . وتتم الحكاية عن كذا وكذا ورقا صحاحا . من الورق ينفد الخرج كذا وكذا . وأضاف اليه الربع اعتمادا للتكثير . وأنفذ العمل مع أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبي الوفاء طاهر بن محمد وأبي عبد الله ابن سعدان الى الصاحب أبي القاسم ورسم لابي عبد الله الحضور معهم عنده وموافقته على أبوابه ففعل واستوفي مناظرته وكمل الارتفاع بزيادة على موجوده .

﴿ ذكر عود عضد الدولة الى مدينة السلام [١٩] ﴾

برز عضد الدولة الى ظاهر همذان في شهر ربيع الآخر للعود الي مدينة السلام وخلع على الصاحب الخلع الجليلة وحمله على فرس بمركب ذهب ونصب له دستا كاملا في خركاه يتصل بمضاربه وأجلسه فيه وأقطعه ضياعا جليلة من نواحي فارس وحمل الي مؤيد الدولة في صحبته ألطافا كثيرة وضم اليه من العسكر المستأمن عن فخر الدولة عددا ليكونوا برسم خدمة مؤيد الدولة

﴿ ذكر ما جري عليه أحوال أولاد حسنويه بعد وما جرّه ﴾

(الحسد من القاء من نجا منهم بيده الى التهلكة)

لما قدم بدر وفضل بالسيف والمنطقة احفظ ذلك عاصما وأوحشه

وأقام قليلا ثم انحاز الى الاكراد المخالفين خالعاً للطاعة منابذا لبدر . فاخرج اليه أبو الفضل المظفر بن محمود في عدة من الاولياء حتى أوقع بمحمود وأخذه أسيرا وأدخله همذان راكب جمل بدراعة ديباج ولم يعرف له خبر بعد ذلك وتفرد بدر بالخدمة والانتساب [٢٠] الى الحجبة . وقتل جميع أولاد حسنويه .

وفي هذه السنة ورد الكتاب بان أبا على الحسن بن محمان أخذ المعروف بالصيداوي وقتله

﴿ ذكر حيلة تمت على الصيداوى حتى أخذ وقتل ﴾

كان هذا الرجل أحد قطاع الطريق فى أعمال سقي الفرات فاحتال أبو على ابن محمان فى أخذه بأن دسّ عليه جماعة من الصعاليك أظهروا الانحياز اليه فلما خالطوه قبضوا عليه وحملوه أسيرا الى الكوفة فقتله وأنفذ رأسه الى مدينة السلام فشهره بها

وفي هذه السنة ورد كتاب أبى على الحسن بن على التميمي بالقبض على ورد الرومى [١]

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما توفى أرمانوس ملك الروم اتفق أن نقفور الدمستق وهو رجل ذو سياسة وصرامة كان قد خرج الي بعض بلاد الاسلام ونكأ فيها ثم عاد فعرف خبر وفاة ارمانوس حين قرب من القسطنطينية [٢١] فاجتمع اليه وجوه الجند وقالوا له : ان الملك قد مضى وخلف ولدين لا غناء عندهما مع صغر سنهما وما يصلح للنيابة عنهما فى تدبير الملك غيرك ونحن نرى ذلك

(١) هو السقلاروس قد تقدم ذكره

من المصلحة للناس والمملكة . فامتنع فراجعوه حتى أجابهم ودخل الي الملكين وخدمهما وأظهر الحجبة لهما والنيابة عنهما ثم لبس التاج وتزوج بوالدتهما ثم وقع منه جفاء لها استوحشت به منه

﴿ ذكر تدبير دبرته المرأة حتي تم لها قتل نقفور لقلة حزمه ﴾

راسلت ابن الشمشقيق وأطمعته في قتل نقفور واقامته مقامه فى التدبير واستقر الامر بينهما على ان صار هو وعشرة نفر من خواصه سراً الى البلاط التى تنزلها هي ونقفور فادخلته ليلا وكان نقفور يجلس أكثر الليل للنظر فى الامور وقراءة السير ويبيت على باب البيت الذى يأوي الي فراشه فيه خادمان فلما حصل ابن الشمشقيق داخل البلاط هجموا على الموضع وقتلوا الخادمين وأفضوا الى نقفور وقتلوه ووقعت الصيحة وظهرت القصة واستولى ابن الشمشقيق على [٢٢] الامر وقبض على لاون أخى نقفور وعلى ورد بن لاون [١] فاما لاون فانه كحله وأما ورد فانه حمله الي قلعة في البحر واعتقله . وسار الى أعمال الشام وفعل فيها الافاعيل وانتهى الى طرابلس فامتنع عليه أهلها فنزل عليهم ونازلهم . [٢]

فكان لام الملكين أخ خصيّ واليه وزارة الملك منذ أيام الملك أرمانوس واسمه بركموس [٣] فقيل انه دس على ابن الشمشقيق سما في طعام او فى شراب فأحس به ابن الشمشقيق فى بدنه فسار عائداً الي قسطنطينية وتوفى فى طريقه واستولى بركموس على الامر .

وكان ورد بن منير [٤] كبيرا من كبراء أصحاب الجيوش ومقيما في بعض

(١) هو الفقاس ﴿ وردبس ﴾ (٢) ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسي ص ١٤ — ١٢
(٣) هو باسيل أخ لجدة الملكين (٤) هو السقلاروس

الاعمال فطمع فى الامر وجمع الجموع واستجاش بالمسلمين من الثغور وكاتب ابا تغلب ابن حمدان وواصله وصاهره . واخرج الملكان اليه عسكرا بعد عسكر فكسرهم واستظهر وسار الي القسطنطينية ودهم الملكين ما ضاقا به ذرعا فاصطفا وردبس بن لاون واصطنعاه واستحلفاه على المناصحة وأنفذاه للقاء ورد في الجيوش الكثيرة وجرت بينهما وقائع ابلى كل واحد منهما بلاء ظاهرا حتى تبارزا وتضاربا باللتوت الى ان وقعت خوذهما عن رؤوسهما .

ثم انهزم ورد ودخل الى بلاد [٢٣] الاسلام مفلولا وحصل بظاهر ميافارقين على نحو فرسخ منها (وأبو على الحسن بن على التميمى الحاجب اذ ذاك بها) وراسل عضد الدولة وأنفذ أخاه اليه فأحسن تقبله ووثق اليه بخطه وأعاده عليه بوعد جميل فى انجاده .

وتلاه رسول ملك الروم يلاطف عضد الدولة فى أمره [١] فقوي في نفسه ترجيح جانب ملك الروم على ورد وبدا له رأى في تدبير القبض عليه فكاتب أبا على التميمى بالتوصل الى تحصيله . فخرج أبو على اليه بعد مراسلة ترددت بينهما في الاجتماع وقبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه وحملهم الى ميافارقين ثم أنفذهم الي مدينة السلام .

﴿ رأى صواب رآه أصحاب ورد وأشاروا عليه فأهمله واستبد برأيه ﴾

كان وجوه أصحاب ورد اجتمعوا اليه قبل القبض عليه وقالوا : لسنا نرى أمرنا مع عضد الدولة مستقراً عن نصرة ومعونة وقد تردد بينه وبين ملكى الروم في معنانا وانا لا نأمن أن يرغباه [٢٤] فينا فيسلمنا والوجه الاستظهار وترك الاغترار وان نفارق موضعنا عائدين الى بلاد الروم على صلح

(١) قد ذكر صاحب تجارب الامم هذه الرسالة فيما تقدم

ان أمكننا أوحرب نبذل فيه جهدنا فاما ظفرنا أو مضينا أعزاء كراما . فقال: ما هذا رأى ولا رأينا من عضد الدولة الا الجميل ولا يجور أن نقصده ثم ننصرف عنه من قبل أن نبلو ما عنده . فلما خالفهم وتركهم تركه كثير منهم وفارقوه

فاقام ورد وأخوه وولده وتحصلوا فى الاعتقال الي ان افرج عنهم صمصام الدولة في آخر أيامه على ما يأتى ذكره فيما بعد ان شاء الله .

﴿ ذكر ما جري عليه أمر فخر الدولة ﴾

لما صار الى قزوين بعد هزيمته من همذان قفل عنها الى بلاد الديلم وحصل بهوسم وأقام بها مدّة . وتردّدت بينه وبين قابوس بن وشمكير [١] مراسلات وأيمان وعهود سببها الاجتماع على عداوة عضد الدولة ومؤيدها ثم سار الى خراسان لاستنجاد صاحبها.

﴿ ودخلت سنة احدي وسبعين وثلثمائة [٢] ﴾

كان عضد الدولة أنفذ أبا نصر خرشيد يزديار [٢] الى قابوس برسالة يستصلحه فيها فعاد بجواب ظاهره المغالظة و باطنه المباينة [٣] فسال عضدالدولة الطائع لله أن يعقد لمؤيد الدولة أبى منصور على أعمال جرجان وطبرستان وينفذ اليه العهد واللواء والخلع السلطانية فاجابه الى ذلك . وجلس فى محرم هذه السنة وجرّد أباحرب زيار بن شهرا كويه الي مؤيدالدولة مع عدد كثير وضُم اليه أبو نصرخواشاذه وأصحاب خزائن المال والثياب والسلاح فوصلا الي مؤيد الدولة وهو معسكر بظاهر الرى وأوصلا اليه الخلع السلطانية

(١) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٦ : ١٤٣ (٢) وفى الاصل « بن زياد» والصواب فيما تقدم (٣) لعله الملاينة وليراجع التاريخ اليمني ١٠٦ : ١ ص ١٢٨٦

فلبسها وركب فى العسكر وسار . فلما انتهوا الى استراباذ وبينها وبين طبرستان عشرة فراسخ وقابوس مقيم بها حفر بظاهرها خندقا أجري فيه المياه وبني عليه أبراجا رتب فيه الرماة وعمل على المطاولة ولم يهمل مع ذلك الاستعداد للمواقعة ان دعته ضرورة اليها ونزل مؤيد الدولة على فراسخ من البلد في موضع ماء وجده وأنفذ الى طبرستان من دخلها وملكها لان قابوس اخلاها وجمع العساكر عنده واحتشد بغاية جهده .

وطلعت طلائع العسكرين وتمسك قابوس بموضعه وتوقف [٢٦] مؤيد الدولة عن مقاربته اشفاقا من تعذر الماء واقام الفريقان على هذه الحال اياما

﴿ ذكر حرب جرت على غير ترتيب آل عقباها الى الخير والاتفاق ﴾

لم يزل مؤيد الدولة يجيل الرأي ويعمل التدبير الى ان عرف خبر واد بظاهر البلد يجتمع اليه مياه الامطار في ايام الشتاء وانه متى سدّت أرجاء تقاربه وأسيح ماؤها اليه أمكن النزول عليه فركب هو وجماعة من خواصه فى عدد قليل من الغلمان لمشاهدة الموضع وتقدم الى من كان خرج للمناوشة بالتوقف في ذلك اليوم وأقام على الجبل من يمنع ويرد . فما هو ان بعد عن العسكر حتى زحف الديلم منازعين الي لقاء القوم وقابلهم عسكر قابوس بمثل حالهم واشتد القتال وبلغ مؤيد الدولة ذلك فقامت عليه القيامة وأنفذ جماعة من الحجاب والنقباء فوجدوا الامر قد فات عن حد القبول فانكفأ حينئذ الى موضع المعسكر . ولم تزل [٢٧] الحرب قائمة على ساق الي أن صوّبت الشمس للغروب . ﴿ ذكر غلط جرى من قابوس في رد أصحابه بعد ان ﴾

﴿ لاح له الضعف من مؤيد الدولة ﴾

وردّ قابوس أصحابه وعاد مؤيد الدولة الي معسكره وقد قتل من

أصحابه خلق وجرح أكثر ممن قتل من أصحاب قابوس وخرج فانفذ مؤيد الدولة بدر بن حسنويه في عدد كثير من الاتراك والاكراد الي الجبل الحاجز بين الفريقين ليضبطه اشفاقاً من أن يسير قابوس على أثرهم فانه لو تبعهم لنكا فيهم وبلغ مراده منهم . واحتاج مؤيد الدولة الى المقام اسبوعا حتى ثاب أصحابه واستراحوا وأجري الماء الي الوادى ثم سار ونزل عليه ثم استعد أربعة أيام وزحف بعدها في جميع العسكر . واشتبكت الحرب وحملت ميمنة مؤيد الدولة على ميسرة قابوس فكسرتها وفيها جمرة عسكره فانهزم ودخل البلد مخترقا الى جانبه الآخر وثبت القتال من ميمنة قابوس وفيها أخوه (٢٨) جركاس ساعتين بعد الهزيمة لانهم كانوا من وراء غيضة ولم يعلموا الصورة فلما عرف جركاس هزيمة قابوس انهزم لاحقا به . وأنفذ مؤيد الدولة جماعة فرسان من عسكره لاقتصاص أثره فنكب قابوس عن الطريق وسار ماراً علي القلاع معتقدا لصمود أحدها متي أرهقه طلبٌ الى أن حصل بنيسابور واجتمع مع فخر الدولة هناك .

ولما ملك فخر (١) الدولة استراباذ رتب أمورها واستخلف أحد أصحابه فيها وسار الى جرجان فنزلها وأقام بها وأنفذ أبا نصر خواشاذه الى الحضرة ببغداد في رسائل ووردها فى شهر رمضان مع الاسارى من أقارب قابوس ووجوه أصحابه فاعرض عضد الدولة عنه وأظهر الشكر (٢) له وأخرج أباعلى الحسن بن محمد الي جرجان .

﴿ ذكر خيانة في منشورة جرّت نكبة ﴾

كان عادة أبي نصر اذا أنفذ الى الرى وقرب منها ان يتلقاه الصاحب

(١) يظهر الو المراد مؤيد الدولة وليراجع التاريخ اليمينى ١٠٨:١٠ الى ١١٠ : ١

(٢) كذا بالاصل

أبو القاسم ابن عباد واذا رآه أبو نصر أن يترجل له فلما [٢٩] خرج في هذا الوقت مع زيار أحب أن يفعل زيار مثل فعله لئلا يكون له في الامتناع منه زيادة رتبة عليه فقال له زيار قول المستشير : ما الذي ترى أن تفعل في خدمة الصاحب اذا لقيتهُ ؟ فقال : أنت أعلم الا أن عضد الدولة ينزله المنزلة الكبيرة ويؤثر أن يقضى حقه والذي أفعله أنا الترجل له ومتى فعلت ذلك لم تأمن أن يفعل مثل ذلك . فحمل زيارا على أن يترجل له عند خروجه لتلقيه ولم يترجل الصاحب ولا كان ممن ينقاد لهذا أو يسمح به وانما خدعه أبو نصر حتي تم غرضه . وبلغ عضد الدولة ذلك فغاظه غيظا عظيما أسرّه اشفاقاً من أن يتأدى الي الصاحب أبي القاسم فيه ما يوحشه فلما ورد أبو نصر وفي قلب عضدالدولة من [١] هذا الامر مافيه اطّرحه وأعرض عنه ثم قبض عليه بعد مدة وحمله الى بعض القلاع بفارس .

ولقابوس أبيات قالها بعد الهزيمة مستحسنة

قل للذى بصروف الدهر عيّرنا هل عاند الدهر الا من له خطرُ
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدررُ
فان تكن نشبت أيدي الخطوب بنا ومسنا من توالى صرفها ضررُ [٣٠]
ففى السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمرُ [٢]

وفيها سخط على القاضى أبى على المحسّن بن على التنوخي [٣] وألزم منزله وصرف عما كان يتقلدهُ

(١) في الاصل ما (٢) وردت الابيات في ارشاد الاريب ٦ : ١٤٦ (٣) وفيه ترجمته أيضا ٦ : ٢٥١ وهذه الحكاية موجودة فيه ص ٢٦١ رواية عن أبي الحسن هلال الصابي وفيه أيضا ص ٢٥٥ ان القائم أبو على هو أحمد بن على المدائني .

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان التنوخي مع عضد الدولة بهمذان فاتفق يوما انه مضي الى أبي بكر بن شاهويه وكان صديقه ومعه أبو على الهائم فجلسا يتحدثان في خركاه وأبو على على بابها وقال ابن شاهويه للتنوخى : أيها القاضى اجعل في نفسك المقام في هذا البلد مدة هذه الشتوة . فقال : لِمَ ؟ قال : لان عضد الدولة يدبر فى القبض على ابن عباد (وكان قد ورد الي حضرته) فانصرف التنوخي من عنده فقال له أبو على الهائم : قد سمعت ما كنا فيه وهذا أمر ينبغى أن تطويه ولا تخرج الى أحد به ولا سيما الى أبي الفضل ابن أبى أحمد الشيرازى . فقال التنوخى : أفعل . ونزل الي خيمته وجاءه من كانت عادته جارية بملازمته ومؤاكلته ومشاربته وفيهم أبو الفضل ابن أبى أحمد الشيرازى فقال له : مالي [٣١] أراك أيها القاضى مشغول القلب ؟

﴿ تفريط فى اذاعة سر عاد بوبال ﴾

فاسترسل اليه وقال له : أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل [١] على كذا فى أمر الصاحب وهذا دليل على تطاول السفر . ولم يتمالك ان انصرف واستدعى ركابيا من ركابية القاضى التنوخى وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال : عند أبى بكر ابن شاهويه . فكتب الي عضد الدولة رقعة يقول فيها : كنت عند التنوخى فقال لي كذا وكذا (وذكر انه عرفه من حيث لايشك فيه) وعرفت انه كان عند أبي بكر ابن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل فاذا ذاع السر فيه فسد ما دبرته فى معناه . فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجماً شديداً وقام من بساط كان عمله للديلم على منابت الزعفران مغيظا

(١) وفي الاصل : عولت . والصواب فى الارشاد

واستدعى التنوخي وقال له : بلغني عنك كذا وكذا . فخجل التنوخي ثم جمع بينه وبين أبي الفضل الساعي به فواقفه فأنكره وأحضر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فأنكرها وسئل أبو علي الهائم [٣٢] عما سمعه فقال : كنت خارج الخركاه وما وقفت على شيء . فَمُدَّ وضُرب مائتي مقرعة وأقيم فنفض ثيابه وقال : أكثر الله خيركم . واتصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة أخري واندفعت القصة فرجع التنوخي الى خيمته بعد ان ظن انه مقبوض عليه وبقي يتردد الى خدمة عضد الدولة مدة وهو معرض عنه حتى عاد له الى بعض الاقبال عليه .

ثم رحلوا الى بغداد فرآه عضد الدولة وعليه ثياب جميلة [١] وتحته بغلة بمركب ثقيل فقال له : من أين هذه البغلة ؟ . فقال : حملني عليها الصاحب بمركبها وأعطاني عشرين قطعة ثيابا وسبعة آلاف درهم . فقال : هذا قليل لك مع ما تستحقه عليه . فعلم التنوخي انه اتهمه بذلك الحديث .

وورد عضد الدولة الى بغداد [٢] فحكى له ان الطائع لله متجاف عن ابنته وانه لم يقربها فثقل ذلك عليه فقال للتنوخي : تمضي الى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية انها مستزيدة لاقبال مولانا عليها . فعاد التنوخي الى داره ليلبس أهبة دار الخلافة

﴿ ذكر اتفاق ردىء جاء بالعرض [٣٣] ﴾

فاتفق أن التنوخي زلق عند عوده الى داره ووثئت رجله فانفذ الى عضد الدولة فعرّفه عذره فلم يقبله وأنفذ اليه من يستعلم ما جرى فرأى غلمانه روقة وفرسا جميلة وعاد اليه فقال : انه يتعلل وليس بعليل وشاهدته على صورة كذا

(١) ايراجع ارشاد الاريب ٦ : ٢٦٥ (٢) وفيه أيضاً ص ٢٦٦